عادات العمل عند قبيلة حميان البدوية مقاربة أنثروبولوجية

مقدمة:

تختلف المجتمعات البدوية في الجزائر باختلاف أنماطها المعيشية وطرق وأساليب حياتها الاجتماعية فأصناف المجتمع البدوي تتميز عن بعضها البعض بحسب الأساليب التي يعتمدها كل منها في تحصيل معاشه،وبحسب ما إذا كانت الجماعة تعتمد على الفلاحة والزرع أم على تربية الماشية من أبقار وغنم ومعز،أم على تربية الإبل(1).

وأيضا في بيئتها الطبيعية والجغرافية فالجهات الجغرافية التي يعيش فيها كل صنف من هذه الأصناف هي أيضا بدورها تختلف وتتباين ما بين مناطق فلاحية متوافرة على أسباب الاستقرار،ومناطق رعوية تشتمل على حد أدنى من الخصوبة، ثم مناطق صحراوية قاحلة تقتضي من سكانها التنقل والترحال المتواصل(2)

تشهد المجتمعات البدوية في الجزائر تحولات وتغيرات عميقة وسريعة في بنائها الاجتماعي، لذا تستوجب المبادرة إلى دراستها قبل فوات الأوان، فهذه الأنساق الاجتماعية التي في طريقها إلى الزوال تعتبر نماذج بنائية فريدة سوف تسهم دراستها مساهمة فعالة في فهم طبيعة المجتمع الإنساني من جهة وأن هذه المجتمعات البدوية لها قيمة ذاتية بحتة من جهة أخرى ويشير أحمد أبوزيد في كتابه الأنثروبولوجية الثقافية بقوله:"**نحن نشعر إذن أن الواجب**

يحتم علينا القيام بدراسة منهجية منظمة لأكبر عدد ممكن من هذه المجتمعات البدوية مادامت هناك فرصة لذلك(3).

وانطلاقا مما سبق ذكره سوف نسلط الضوء على نموذج من المجتمعات البدوية في الجزائر وهو مجتمع حميان الذي يمثل نموذج البداوة الرعوية الجزئية حسب تصنيف ابن خلدون الذي يعيش جنوب الشط الشرقي والمعروف بالمنطقة السهبية التي تمثل جزء من الهضاب العليا الغربية الجزائرية.

1-تحديد المفاهيم:

1-1مفهوم العادة:

من بين العناصر الثقافية تبدو العادة الأكثر عمومية، فهي بطبيعتها استجابة لحاجات ثابتة نسبيا ومتغيرة تبعا لذلك لأنها تستجيب في الزمان والمكان لحاجة اجتماعية.

والعادة هي اصطلاح يشير إلى أشكال التفكير والسلوك المستقر الذي يقوم به الفرد في المجتمع ويستخدمه علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع بكثافة،ويعنون به التصرفات الروتينية للحياة اليومية أو النماذج الحضارية المستمدة من التصرفات المتكررة،والواقع أننا لانستطيع مشاهدة العادات والتقاليد بل مشاهدة حالات السلوك الإنساني،أي حالات اختيار أنماط السلوك التي تتأثر بدوافع وعوامل الخبرات السابقة والعراقيل التي تقف أمامه(4).

2-1 مفهوم البداوة:

لم يتفق علماء الانثروبولوجيا والاجتماع حول تعريف واحد جامع ومانع للبداوة،نظرا لاختلاف أنماط الحياة البدوية وأشكالها.

البداوة هي مصطلح مشتق من الكلمة الإغريقية (Nemo) أي يرعى، ويستخدم في الأنثروبولوجيا للإشارة إلى أسلوب الحياة الذي لا يقتصر على البداوة الرعوية،ولكنه يدل أيضا على بعض الأنماط الاجتماعية التي يغلب عليها الافتقار إلى الإقامة الدائمة أو التوطن والاستقرار وكذلك يمكن الإشارة إلى الصيادين وجامعي الطعام على أنهم بدو (5).

فالبداوة في مفهومها العام هي نمط الحياة القائم على التنقل الدائم للإنسان في طلب الرزق حول مراكز مؤقتة يتوقف مدى الاستقرار فيها على كمية الموارد المعيشية المتاحة، وعلى مدى الأمن والاستقرار الاجتماعي والطبيعي الذي يمكن أن يتوافر فيها،والتنقل لدى البدوي ليس معناه عدم الاستقرار،وأن البدو الرحل ينبغي أن ينظر إليهم كمستقرين اجتماعيا، فهذا النمط من الحياة يتضمن معنى الاستقرار يعني تنظيم وسائل الحياة على وفق غاياتها،فالبدوي لا يفعل غير ذلك،وهو يرحل من مرعى إلى مرعى،وهو ليس جديدا على المكان الجديد، وإنما يترله مترل المقيم لا مترل الطارق العابر(6).

والبداوة هي أقدم نمط اجتماعي للحياة عرفها الإنسان، فهي أول سعى له في التكيف مع الظروف الطبيعية(7).والبداوة هي نمط من أنماط

الحياة الاقتصادية والاجتماعية المتكامل، وهي حضارة بشرية في مقوماتها المادية والمعنوية،وليست هي بالضرورة نمطا بدائيا في التنظيم الاجتماعي وليست مرحلة ضرورية من مراحل التطور الاجتماعي،ولكنها وضع اجتماعي فقد يسبق البداوة نمط حياة مستقرة،وقد تعقبها كذلك،وذلك لأسباب طبيعية،قد تكون متصلة بتغير المناخ أو لأسباب اجتماعية كالحروب(8).

ومن حيث التعريف الوظيفي للبداوة ينطلق سعد الدين إبراهيم مقلا من التنظيم الاجتماعي الرئيسي للبدو وهو القبيلة وتقسيماته الفرعية العشيرة والبطن والفخذ،وموطنهم الصحراء وموئلهم الخيام المصنوعة من الشعر،وغذاؤهم من منتجات الإبل والغنم.ويشدد نظام القيم لديهم على الولاء البدائي أي على النظام القرابي والحياة الجماعية والشجاعة والكرم(9).

ومجمل القول أن الصورة التقليدية للبدو الرحل عبر آلاف السنين الماضية،تتمثل في خيمة وقطيع وسيف ونظام بدائي للقيم وارتحال دائم في الصحراء،هذا التعريف يربط بين البداوة وحياة صنف من الناس اختصوا بنمط عيش كانت للظروف البيئية والطبيعية الأثر الأكبر فيه فالبداوة بهذا المعنى حالة ثقافية اجتماعية تولدت من تكيف مامع ظروف طبيعية متوارثة.

أما التعريف المعياري للبداوة ذلك التخلف الذي يحمل قيما معادية للتحضر والتمدن وانطلاقا من هذه الصفة المعيارية عرفت البداوة كنقيض للمدينة ورديف للخشونة والجهل. يلاحظ أن بعض الأنثروبولوجيين والباحثين الاجتماعيين لم يفرقوا بين البداوة والقبيلة،ولم يضعوا حدودا

فاصلة بين البداوة والبيئة الطبيعية والجغرافية من جهة والبداوة كنمط من أنماط المعيشة وشكل المجتمعات وتطورها،والبداوة كشكل من أشكال الثقافات من جهة أخرى(10).

1-3 مفهوم القبيلة:

إن القبيلة بالمفهوم الأنثروبولوجي هي تنظيم اجتماعي وثقافي، عبارة عن مجموعة من الأجزاء تشغل مجال وتحمل أسماء وتشترك في مجموعة من الرموز الثقافية، وإن كان هذا التحديد شاملا يكاد ينطبق على جل القبائل، فإن خصوصية كل قبيلة تتجلى في المكان والزمان اللذين يطبعان هويتها،ويعملان على تحديدها اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا. وهناك تعريف آخر للقبيلة على أنها عبارة عن تجمع عدد من الناس ينتمون إلى أصل مشترك ويشتركون في ملكية منطقة معينة ومحددة من الأرض، وتقوم بينهم صلات قرابة ويتكلمون لغة واحدة(11).

أو هي عبارة عن وحدة اجتماعية تجمع عدة معاشر أو مجتمعات محلية، ولا يشترط في هذه العشائر ذات علاقة نسب واحد،بل قد تندمج عائلة أو عشيرة في قبيلة أخرى،نتيجة لهزيمة على يد قبيلة أخرى أقوى منها فيتعرض أفرادها للسبي وينفرط عقدها.

أو قد تفتقر إلى وسائل القوة المادية مما يؤدي إلى إعاقة استقلالها القبلي،كأمم يجدب مراعيها وتتناقص مواشيها،فتشتت عشائرها وتنضوي تحت ولاية قبيلة أخرى،تمتاز بالقوة والغنى،فتصبح تحت حمايتها وقد تنقل زعامة القبيلة من عائلة أخرى ويصحب ذلك تغيير في إسم القبيلة ذاتها.

1-4 مفهوم المجتمع البدوي:

هو اصطلاح يطلق على طبيعة فئة من السكان يتميزون بخصائص معينة وسلوك خاص ترسمه البيئة المحيطة بهم، ولا تسمح لهم بإقامة حياة سكانية مستقرة،ولذا فقد صنف ابن خلدون البدو إلى أنواع عندما وضعهم في مستويات ثلاث،تبعا لدرجة ظعنهم في الصحراء وبعدهم عن الحضارة،فهناك البدو الذين يعتمدون على الإبل في معاشهم ويطلق عليهم ابن خلدون اسم الأبالة أي رعاة الإبل،ويليهم في الترتيب الشاوية أي أصحاب الشاة وهم رعاة الضأن ويأتي في أسفل السلم المحترفون للزراعة،وهم الذين مارسوا نوعا من أنواع الاستقرار في الواحات وحول الآبار والأودية أو عند المراكز الحضرية القريبة(12).

كما حدد ابن خلدون أشكال البداوة الرعوية من خلال درجة تأصل ظاهرة البداوة من عدمه، حيث توجد أربعة أشكال هي:

ا- **البداوة الخالصة:** وتمارس الجماعة البدوية خلالها الظعن في قلب الصحراء، ومن الطبيعي أن يكون دليلها في ذلك هو الجمل بما له من قدرة وتحمل.

ب-البداوة الجزئية: وهي أقل تأصلا نتيجة لعدم قدرة الحيوان الراعي على التوغل داخل الصحراء ومن هنا كان لجوء بدو هذا الشكل خصوصا الشاوية منهم إلى أطراف الصحراء

ج-الاستقرار الجزئي:وبدو هذا الشكل قد مارسوا نوعا من الاستقرار بالقرب من منابع المياه وفي مناطق الواحات.

د-الاستقرار الكامل:ويكون البدو خلاله قد استقروا تماما واستبدلوا بعاداتهم عادات ونظما حضارية جديدة، ولم يصبحوا مرتبطين بالقيم البدوية الخالصة(13).

والتساؤل الذي يمكن طرحه من خلال تصنيفات ابن خلدون للبداوة الرعوية،أين نصنف بدو حميان؟فمنطلق ابن خلدون كان مبينا من جهة على نماذج شاهدها بنفسه مشاهدة للعيان،حسبنا تبين ذلك سيرته

2-أصل حميان ومواطنهم:

2-1 الملامح التاريخية لبدو حميان:

إن أول من اهتم بدراسة حميان هم الباحثون العرب من المؤرخين،وكان أول من أشار إليهم من المؤرخين هوعبدالرحمن بن خلدون في كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر حيث جاء فيه:" **أن حميان أو حميدان هو ابن عقبة بن يزيد إحدى بطون بني يزيد بن عيسى بن زغبة إحدى القبائل الهلالية**"(14).

وزغبة هو ابن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال وقد أكد ابن خلدون على فروع حميان وبطونها وهي:ابن مهري وأولاد زيان والزانية وذوي حسن الذي ينحدر منه بطن السنداان.

كما تناول ابن خلدون أيضا دائرة القرابة التي ينحدر منها حميان،بحيث أكد على أن لعقبة وهو أب حميان إخوة وهم جواب وبنوكرز وبنوموسى والمرابعة والخشنة وبنوسعد وهم ثلاث بطون بنو ماض بن رزق بن سعد،وبنو منصور بن رزق بن سعد،وبنو زغلي بن رزق بن سعد، وأولاد معافي وأولاد لاحق ومعانس،ويطلق ابن خلدون على عرب بني هلال التي نزحت إلى المغرب الإسلامي بالعرب المستعجمة،بسبب أنها فقدت اللسان العربي الفصيح نتيجة اختلاطها ببربر زناتة وصنهاجة، ويصفها عبدالقادر المشرفي بأنها قبيلة عظيمة،ويؤكد أصلها إلى بني يزيد بن زغبة(15).

لقد ظهر بنوحميان في تقدم طارئ وهدوء تام،فهؤلاء عبارة عن رحالة بدويين في الأصل ومتقاربين في ميزة الشجاعة،التي هي ميزة جماعية مسلم بها لا تقبل الجدل.

أما في العصر الحديث فقد ظهرت دراسات كثيرة عن حميان لعدد من العسكريين كلها تصف بدو حميان في فترة كان فيها النظام الاجتماعي لحميان متأثرا بالثقافة الأوروبية(16).

مع الملاحظة أنهم لم يحللوا النظام الاجتماعي عند حميان تحليلا علميا،كما أن معظم الدراسات استهدفت خدمة الحركة الاستعمارية في القرن 19م،ومد نفوذها إلى الهضاب العليا الجزائرية الغربية والأطلس الصحراوي،حيث

ظهرت مجموعة من الدراسات الاثنوغرافية عن الهضاب العليا والأطلس الصحراوي.

2-2 الأوطان الأولى لحميان:

كانت أوطان أجداد حميان قبل دخولهم إلى المغرب الإسلامي هي الطائف بشبه الجزيرة العربية ثم نزحوا إلى صعيد مصرفي القرن الرابع الهجري،ثم نزحوا بعذلك إلى طرابلس وإلى إفريقية(تونس)،وعن دخول حميان إلى المغرب الأوسط يؤكد ابن خلدون أن فروع بني زغبة ومن بينهم أجداد حميان يقول:"**وبعد دخولهم إفريقية نزلوا بنواحي طرابلس وقابس،وعند دخولهم إلى المغرب الأوسط قاموا بتقسيمه**"(17).

لقد جاء حميان إلى أرض الوطن في عهد يغمراسن السلطان الزياني عندما نقل بنوعامر بن زغبة من جوار بني يزيد إلى صحراء تلمسان لمواجهة المعقل،فانتقل معهم بني حميان من بطون يزيد وصاروا في تعدادهم واستقروا ببلاد الريف وأوطنوا فيه(18).

انقسم حميان إلى شفاعة بن عامروحميان الجنبة وتدل على الجنب لأن رهان مجيء حميان إلى المنطقة يتماشى جنبا إلى جنب مع التابعين.

يصف أحد الجنرالات الفرنسيين وهو شانزي (Chanzy) حميان بالفروسية والشجاعة والمغامرة حيث جاء عنه بقوله:"يعتبر حميان من النوع الصحراوي الذي يمتاز بالفروسية وغير متعصب ومغامر ومستلب ذوي ديانة سهلة،لكن ليست إلى حد التعصب أساسا خاضعة لها لكنها صعبة التدعيم

بالفعل الخارجي،تقبل مثل القائد هؤلاء جعلوا الشجاعة والجرأة توحي بالثقة التي تقسم الحياة في مغامراتها وخطورتها،وروح القبيلة ليست سيئة نحو السيادة وسهلة القبول للحفاظ على القيادة مع توجيه أكثر للإدارة بالمراحل(19).

3-العادات المرتبطة بالرعي:

إن المرء الذي يعيش وسط عائلات وأسر بدو حميان خاصة التي تمتهن الرعي ،يلاحظ أن أفراد القبيلة يقومون مبكرين إذ يعتبرون أن الفجر أو الاستيقاظ المبكر عادة لابد على الراعي أن يراعيها إذ يقوم بإعطاء العلف والماء إلى الماشية،ثم تقوم المرأة بحلبها لتخرج بعد ذلك إلى المرعى،فيقوم الأبناء الذين تسند إليهم مهمة الرعي بأخذ الزاد معهم من ماء وأكل باعتباره أنه لا يعود حتى منتصف النهار على عكس الأب أو الشيخ الذي يبقى في خيمته أو مترله.

والملاحظ أنه يتم التفريق بين الماشية فالصغار تبقى داخل الزريبة، أما النعاج والمعز فإنها تذهب إلى المرعى،كما جرت العادة أن يقوم أفراد العائلة بأخذ القطيع إلى مكان الحصاد أو منطقة أخرى تتوفر على الماء والكلأ بشكل كثيف،وهذا هو الرعي المتنقل،حيث ينتقل الفرد بماشيته ويستقر جزئيا عن عائلته حتى فترة انقضاء العشب، فيعود إلى عائلته أو الخيمة، ويسمى هذا السلوك بالتخلاف.

4-العادات المرتبطة بالزج:

ونجد أن موسم زج الغنم من الصوف يتم حيث تتم عملية الزج في فصل الربيع والصيف من خلال عملية التويزة أو العمل الجماعي،بحيث يقوم صاحب الغنم باستضافة مجموعة من الأشخاص لمساعدته،فيحضرون أدواتهم وهي مقاص خاصة بعملية الزج،ويقومون بهذا العمل وهم يرددون بعض المدائح وهي الصلاة على الرسول وبعد الانتهاء من عملية الزج.

يقوم صاحب الماشية بتوزيع كمية من الصوف على معاوينه كهدايا اعترافا بالجميل المقدم من طرفهم.أما في الوقت الحالي ونتيجة للظروف الاقتصادية المزرية التي يعيشها المجتمع الجزائري،فإن ظاهرة التويزة بدأت تختفي تدريجيا،بحيث أصبح من يساعد في عملية الزج مقابل أجرة يتقاضها مباشرة بعد نهاية عمله وبالتالي أصبح بذلك عملا مأجورا.

5- العادات والطقوس المرتبطة بزيادة حجم الماشية:

كما يقوم الراعي صاحب الماشية بوضع علامة مميزة لمواشيه مثلا وضع صباغة فوق رأس الشاه أو على ظهرها،أو يقص من صوفها في إحدى الأماكن.

كما وجدت عادة وضع قرط منقوش من الذهب في أذن الشاه بالنسبة للمبتدئين في تربية الماشية حتى تزيد من حجمها وكثافتها حتى تبعد عنها عين الحاسدين.

6- العادات والطقوس المرتبطة ببيع الماشية:

أما عند البيع فعند جلب الماشية للسوق(الجلبية) وفي حالة عدم شرائها،ويعود بها صاحبها إلى الخيمة فإنه يقوم ببعض الطقوس التي تعكس مدى ارتباط بدو حميان بالثقافة الشعبية التي توارثوها عن الجيل السابق، والتي لاتزال متوغلة في عمق الذاكرة الشعبية، وتتمثل هذه الطقوس بوضع البخور،ويدور مالك الغنم بالزريبة حتى تذهب عنها العين الشريرة،أو شيء آخر يكون السبب في رد الغنم وعدم بيعها، بالإضافة إلى ذلك يقوم بوضع حذوة الفرس في عنق إحدى المواشي أو على الزريبة.

7- العادات المرتبطة بالزراعة:

على الرغم من أن المجتمع البدوي الحميانى ليس مجتمعا زراعيا بالدرجة الأولى، إلا أن طبيعة الحياة في القبيلة وخاصة عند الفلاحين تؤدي إلى ظهور ثقافة تقليدية،وذلك أن غالبية الفلاحين ولدوا في هذه القبيلة، ومروا بتجارب واحدة،وبالتالي يدخلون في تفاعلات وعلاقات اجتماعية إضافة إلى وجود عادات وتقاليد يجب على المرء احترامها والسير وفقها.

ترتبط عملية الحرث بعادات وممارسات معينة،يقوم بها الفلاح الذي سيحرث أرضه/ففي ليلة الحرث يقوم الفلاح بما يسمى بتجهيز الأدوات والاطمئنان على غذاء ماشيته،وكذلك الحيوانات التي سيحرث عليها والمحراث اليدوي والحبال المستخدمة في عملية الحرث،ثم ينام مبكرا،لكي يستيقظ مبكرا في اليوم الموالي سواء كان الفلاح يعمل في حقله أو حقل غيره.

كما تقوم ربة البيت بتجهيز الفطور ،وإرساله مع أحد الأبناء وغالبا يكون الإفطار عبارة عن مأكولات شعبية معروفة مثل الرفيس أو الزريزري والخبز والزبدة مرفقا بالشاي واللبن،إضافة إلى الغذاء في أوقات مختلفة،وأي تقصير يعتبر صاحب الحقل مقصرا في حق العامل وهذا أمر غير مألوف.

وكذلك في عملية الحصاد تجري الأمور كما في عملية الحرث من حيث ضيافة المساعدين لصاحب الحقل،وعند جمع المحصول يمنح صاحب صاحب الحقل لمعاونيه نصيبا من الحصاد إضافة إلى نصيب آخر في شكل زكاة التي يستخرجها،ويسمى التعاون بين الفلاحين بنظام التويزة وهي عادة اجتماعية قديمة متأصلة الجذور ومنذ القدم تتم بين الفلاحين في فترات العمل الكثيف كموسم الحصاد أوفي أوقات الحرث.

وتبدو خصائص هذا التعاون الطبيعي في كونه عبارة عن تجميع لخدمات مجموعة من الأفراد في أرض أحدهم،وتتم مساهمة كل واحد بالجهد العضلي المبذول وأدوات العمل الخاصة التي يصطحبها معه لاستخدامها في العمل بدون مقابل نقدي،وإن كان صاحب الحقل في العادة لا يتأخر في استضافة معاونيه اعترافا بالجميل،وتكريما لهذه الروح التعاونية ولا يزال نظام التويزة موجودا حتى الان نظرا لتعلق الرجل بعاداته وتقاليده.

كما أن الفلاح يستبشر خيرا بنزول المطر،فإن كان هناك شح في المطر أي عدم نزوله فإن هذا الفلاح يقوم بذبح شاه أو دجاجة حسب القدرة على ذلك تقربا إلى الله ودعاء إليه حتى ينزل المطر ويتعاون مجموعة من

الناس في ذلك،وتسمى **لالا حليمة**، وكذلك عندما تكون المرأة تطهي في الخبز وتلاحظ تصاعد بخار الماء كثيرة منه يقال بأن هناك غلة وفيرة في المحصول أي **صابا** بعد عملية الحرث وخروج السنابل يأخذ منها قبضة وتظفر وتعلق في البيت أو الخيمة كدليل على البركة.

ووجدت عادة أخرى عند بدو حميان وهي أخذ سرة الطفل الصغير أي المولود ووضعها في قطعة قماش مع بعض من الحناء،وتدفن في الأرض التي يملكها أبوه أو جده حتى يكبر ويصبح مثل أحدهما في الزراعة.

وحتى يكبر بسرعة كما تخرج السنابل،وكذلك عند ختان الطفل فإنهم يقومون بأخذ التراب من الأرض الزراعية ووضعه في جفنة من العود وكسر بيضة عليها،ثم توضع القطعة الجلدية للطفل فيها وتغطى تحت رجليه،ثم تؤخذ وتوضع في الأرض الزراعية لتدفن فيها.

7- العادات المرتبطة بالصناعة:

جرت العادة أن تعلم الأم ابنتها كل شيء يكون في خدمة العائلة، كصناعة الصوف أو صاعة الحلفاء أو الصناعة النسيجية، فمن الأقوال التي تقال في الصناعة النسيجية نجد:"**على قد لحافك أو فراشك رجليك**".

كما تقوم ربة البيت بإظهار جميع ما تصنعه كالطبق والكسكاس،حتى يقال أنها امرأة نشيطة **حاذقة** لأنه يقال أن المرأة الكسولة **الجايحة** تطبخ عشاءها على كسكاس السوق وهنا يشار إلى كسكاس الألمنيوم.

والملاحظ على المرأة عند قيامها بصناعة الزربية أو طبق من الحلفاء أو شيء آخر،فإنها تقوم بالعمل وهي تردد بعض الأغاني المعروفة لدى الجميع كالصلاة على الرسول(ص)،أو الأغاني الأخرى كشكل من أشكال الترويح،وذلك حتى لا نحس بالتعب.

وبالتالي نستنتج أن الصناعة أو الحرف التقليدية تحتكرها المرأة بالدرجة الأولى عن الرجل،فهي ذات اهتمام مترلي عنه تجاري،وقد نجد تعاونا بين النساء،فيما يخص عملية غزل الصوف ونسجه وذلك عن طريق التويزة.

إضافة إلى ذلك وجود عادة الرباط أو تثقاف كما يقال في قبيلة حميان بالنسبة للفتاة عن طريق استعمال الطبق المصنوع من الحلفاء،وهذا يدل على أن لهذه الوسيلة مزايا عند بدو حميان فمنه الاستعمال المترلي ومنه عادة اجتماعية ثقافية،وهذه العادة ارتبطت كذلك بالنسيج خاصة نسيج البورابح (غطاء) والجلاليب والبرانس، وهنا باستعمال أدوات النسيج كالخشب والخيط الذي ينسج عليه.

8- العادات المرتبطة بالتجارة:

إن تعامل التاجر زبائنه يتم على أساس صدق البيع وكذلك تفاهم البائع مع المشتري،ففي قبيلة حميان تجد أن التعامل مع أصحاب المحلات يختلف عنه في التعامل مع أصحاب الأسواق أو المتجولين الذين يجوبون المنطقة بسلعهم.

التعامل مع أصحاب الأسواق خاصة الأسبوعية يتم على أساس المقايضة، فالمشتري يأخذ السلعة مقابل ثمنها ويمكن أن يتفاهم البائع والمشتري على رد السلعة إذا لم تكن مناسبة وذلك باعتبار أن المرأة لا يمكنها الخروج من بيت زوجها إلى الأسواق.

أما فيما يخص المحلات التجارية فإن صاحب المحل يتعامل مع زبائنه بطريقة لبقة،بحيث يمكن أن يأخذ السلعة مقابل دفع نصف ثمنها على أن يدفع الباقي بالتقسيط،ونجدها خاصة عند محلات بيع أجهزة العرس والأثاث المترلي،التي تعتبر باهظة الثمن وأيضا نجد عادة أخذ السلعة على أن يعطي ثمنها في وقت لاحق حتى يتوفر الثمن عند المشتري.

ولا تكون هذه الطريقة من البيع أو العادة إلا عند الزبائن المعروفين،أو الذين يسكنون بجوار المحل غير أن التاجر عند فتح المحل لأول مرة يقوم ببعض العادات والطقوس مثلا:يقوم بوضع البخورفي المحل،وكذلك وضع الملح أو وضع التمائم عند مدرس قران حتى لا تصيبه العين ،ولغرض جلب الزبائن ويتهافتون على محله.

أما حاليا فنلاحظ أن جلب الزبائن يتم بأسلوب المنافسة بين المحلات، فكل واحد يريد أن يكون محله أحسن منظرا وأكثر سلعة من محل آخر، فهنا يتجه الزبائن إلى المحل الأقل تكلفة وحسن النظافة والمعاملة.

أما فيما يتعلق بالأسواق خاصة الأسبوعية، فقد كانت تقام يوما في الأسبوع حيث كانت تمتلئ بالباعة وتقام فيها حلقات كالمدائح

والقوال،حضور جماعة عيساوة التي تقوم ببعض الحركات التي تزيد من حضور الناس على هذه الأسواق.

9- زيارة الأضرحة والأولياء:

تتميز قبيلة حميان بصفة خاصة بتقديسها للأولياء الصالحين وولائها لهم،حيث مجسد في الطقوس والعادات والتقاليد التي تبرز تأثر أفراد القبيلة بشخصيات الأولياء الصالحين.

والملاحظ أن كل من يريد فعل شيء ويذهب إلى الولي حيث يطوف حول القبة حتى ييسر الله عليه في عمله ومن الأولياء الموجودين بمنطقة حميان نجد:سيدي أمحمد،مولى عبد القادر،سيدي عبد الحاكم،لالا مغنية وكلهم وضعت لهم قباب.

فالفلاح يذهب إليها عندما تتعرض المنطقة للجفاف،ويحدث هناك شح في المطر،ليصلي هناك داخل القبة ويدعو الله حتى يترل الغيث،وكذلك التاجر الذي يأخذ بعض من الصدقة ليوزعها على الناس داخل القبة حتى يزيد الله من ماله،ويبارك له الولي الصالح فيرزقه.

ونلاحظ أم موسم الوعدة بالنسبة للأولياء يتم خاصة في فصل الربيع،بحيث يجتمع الناس حول القبة ،ويضربون بخيامهم هناك من أجل الإطعام وأيضا القيام ببعض الأنشطة كالفروسية وكذلك حضور فرقة العيساوة والغايطة.

خاتمة:

إن بدو حميان بجميع أعراشهم يمثلون نسيجا اجتماعيا،متجانسين من خلال التعرض للأعمال والحرف التي يزاولونها،إذ نجد اعتمادهم على الرعي والزراعة،فهناك أعمال خاصة بالمرأة وأخرى بالرجل نظرا للعادات التي ترتبط بكل حرفة التي هي واحدة عند كل الأعراش.

نجد أن بدو حميان يربطون الأعمال بزيارة الأولياء والأضرحة،حتى ينجحون في عملهم أو يزيد من بركتهم،وكذلك توجد وراثة الأعمال عن الأجداد،كل هذا يضفي على قبيلة حميان طابع الأبوية في السلطة داخل الأسرة في توجيه الأفراد داخل الأسرة،وتقسيم العمل بينهم.

والميزة الأساسية للقبيلة هو حفاظها على التقسيم الوظيفي للعمل الناتج عن التقسيم السوسيولوجي للقبيلة بين البدو والحضر الموجود إلى الآن،وكذلك نوعية السكن المتمثل في الخيمة وما اعتمادهم على الرعي والزراعة إلا لاعتبار الأرض المورد الطبيعي المهيمن على الأعمال والحرف.

أما الصناعة الحديثة فإنه لا وجود لها نظرا للظروف المناخية وتمركزهم بهذا المنطقة بالذات وهي الهضاب العليا الغربية الجزائرية والمعروفة بمنطقة السهوب،أو الشط الشرقي.

الهوامش:

1- د.المختار الهراس: القبيلة والدورة العصبية قراءة التحليل الخلدوني للمجتمع القروي المغاربي-في كتاب الفكر الاجتماعي الخلدوني-المنهج والمفاهيم والأزمة المعرفية-ط1-مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت-2004-ص.156

2- نفسه:ص.ص156-157.

3- د.أحمد أبزيد: الأنثروبولوجية الثقافية-دار النهضة العربية للطباعة والنشر-بيروت-1978-ص15

د.أحمد أبوزيد:التنمية الاقتصادية-مرجع سابق-ص46

4- د.عبد الغني عماد: سوسيولوجيا الثقافة-المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة-ط1-مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت-2002-ص324.

د.محمد السويدي:بدو الطوارق بين الثبات والتغير-دراسة سوسيو-أنثروبولوجية في التغير الاجتماعي- المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر-1986-ص138-د.محمد حسن غامري:دليل البحث الأنثروبولوجي في المجتمع البدوي-المكتب الجامعي الحديث-الإسكندرية-2005-ص2

(3)المرجع نفسه:ص47

(4)محمد علي قطان:دراسة المجتمع في البادية والريف والحضر-ط1-دار الجيل للطباعة-مصر1979-ص7-دة سهير عبدالعزيز محمد يوسف:الاستمرار والتغير في البناء الاجتماعي في البادية العربية-دراسة ميدانية في علم الاجتماع البدوي-ط1-دار المعارف-القاهرة-1991-ص33

(5)شارلوت سيمور سميث:موسوعة علم الإنسان-ترجمة علياء شكري وآخرون-مراجعة وإشراف محمد الجوهري-لندن-1992-ص196

(6)د.محي الدين صابر-ليس كامل مليكة:البدو والبداوة-مفاهيم ومناهج-مركز تنمية المجتمع في العالم العربي-سرس الليان-1966-ص06

(7)محمد علي قطان:دراسة المجتمع في البادية-مرجع سابق-ص.ص9-11

(8) د.أحمد أبوزيد:البناء الاجتماعي-المفهومات-ج2-الدار القومية للطباعة والنشر-القاهرة-1967-ص30-د.محمد السويدي:بدو الطوارق-مرجع سابق-ص77د.أحمد الخشاب:دراسات أنثروبولوجية ط3-سلسلة نوابغ الفكر العربي دار المعارف القاهرة1970ص303-دة.سهيرعبدالعزيز محمد يوسف:الاستمرار والتغير-مرجع سابق-ص35

(9)هيروكوفيتز ملفيل.ج:عمليات التغير الثقافي-بحث في رالف لينتون-الأنثروبولوجية وأزمة العالم الحديث- ترجمة عبدالملك الناشف-المكتبة العصرية -بيروت-1967-ص253

(10)Wilbert Moore: order and change-essays in comparative sociology-Newyork-1967-p3.

(11)Rocher Guy:le changement social-Editions.H.M.H-Paris-1970-pp.20-21.

(13)د.محمد السويدي:بدو الطوارق-مرجع سابق-ص139

(14)ابن خلدون:كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر-ج6-دار العلم للملايين-بيروت-1981-ص40-محمد مبارك الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر-1983-ص.ص199-200

(15) Noèl:documents pour servir à l'histoire de hamyan-BSGO-1915 Mensier:les territoires

(16)ابن خلدون:العبر-مصدر سابق-ص41-محمد مبارك الميلي:مرجع سابق-ص201

(17)المرجع نفسه:ص41

(18) répertoire alphabétique des tribus et douars;commune d'Algérie en 1900

(19) Noèl:op.cit.